**رسالة كل خليقة داخل تناغم كل الخليقة**

84

. إن الإصرار على القول بإن الكائن البشري هو صورة الله، لا يجب أن ينسينا أن لكلّ خليقة وظيفة وأنه لا وجود لخليقة عديمة الجدوى. فالعالم المادّي بأكمله هو لغة محبّة الله، وعطفه علينا الذي لا قياس له. التربة والمياه والجبال، هي مداعبة الله لنا. قصّة صداقة كل واحد منا مع الله تدور دائمًا في حيِّزٍ جغرافي يتحوّل إلى قيمة شخصيّة للغاية، وكلّ منّا يحتفظ في ذاكرته بأماكن يجلب تذكرها إحساسًا بالرضى. فالذي ترعرعَ وسط الجبال أو جلسَ في صِغَرِه قربَ الجدولِ ليشرب، أو كان يلهو في ساحة من الحيّ الذي يقيم فيه، فهو يشعر، حين يعود إلى هذه الأماكن، بأنه مدعو إلى استعادة هويّته.

85. لقد كتبَ الله كتابًا رائعًا، “أحرفه هي أعداد المخلوقات الغفيرة الموجودة في الكون”[54]. وقد عبّر عن هذا جيدًا أساقفة كندا بقولهم إنه لا توجد أيّة خليقة خارج تجلّي الله هذا: “إن الطبيعة هي مصدر تعجّب ورهبة دائمين، بدءاً من المناظر الطبيعية الخلابة وصولًا إلى أدق أشكال الحياة. إنها أيضًا تجلٍّ إلهي دائم”[55]. وقد قال أساقفة اليابان، من جهتهم، أمرًا مفيدًا جدًا: “إن الإصغاء لكلّ مخلوق يتغنّى بنشيد وجوده، هو العيش بفرح في محبّة الله وفي الرّجاء”[56]. يسمح لنا هذا التأمل في الخليقة بأن نكتشف، في كل شيء، بعض التعاليم التي يريد الله أن يوصلها إلينا، لأنه “بالنسبة للمؤمن، التأمل بالمخلوقات يعني أيضًا الإصغاء إلى رسالة ما، وسماع صوت مُبهَم وصامت”[57]. يمكننا القول بإنه، “إلى جانب تجليات الله الموجودة في الكتاب المقدّس، هناك تجلٍّ إلهيّ في بزوغ الشمس وحلول الليل”[58]. فإن أعارَ الكائنُ البشري انتباهَه إلى هذا التجلّي، فإنه يتعلم أن يتعرَّف على نفسه في علاقته بباقي المخلوقات: “أنا أُعبِّرُ عن ذاتي عندما أُعبِّرُ عن العالم؛ أنا أكتشفُ قدسيّتي الخاصّة حين أفك شيفرة قدسيّة العالم....”[59].